



مكتبة الطفل ★ مكتبة الطفل ★ مكتبة الطفل ★ مكتبة الطفل ★ مكتبة الطفل ★ مكتبة الطفل ★ مكتبة الطفل ★

٢

السلسلة التاريخية









مكتبة الطفل

دائرة ثقافة الأطفال . وزارة الثقافة والفنون. الجمهورية العراقية



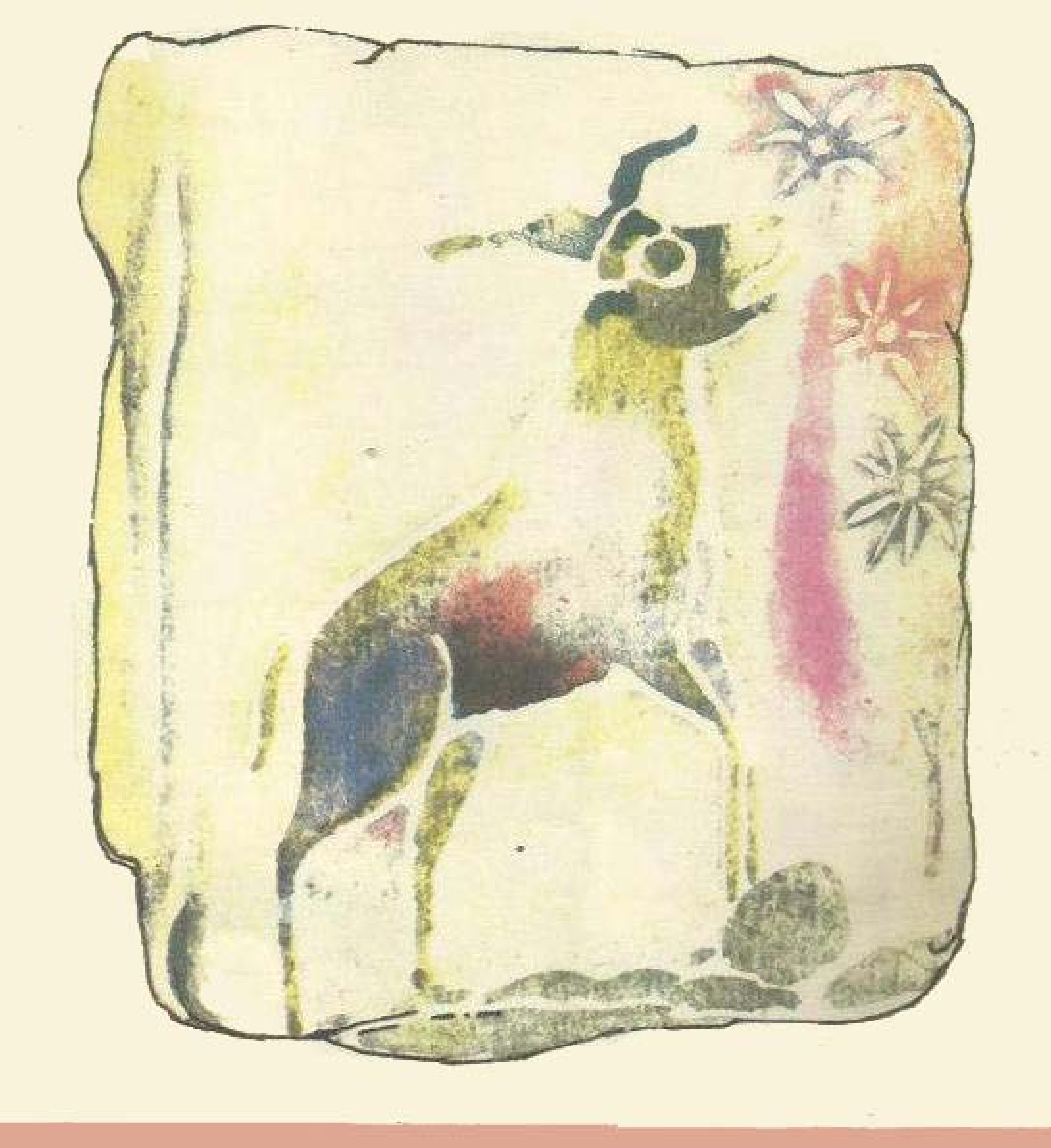
بعد تفكيرٍ عميق .. ومجهودٍ طويل ، تَوصَّلَ جَدُّنا السومريُّ .. قبلَ خمسةِ آلافِ عامٍ قبل الميلاد .. إلىٰ كتابةِ اسمِهِ بطريقةٍ لا يستطيعُ أيُّ واحدٍ غيرُهُ تقليدَهُ ...

فوَضَعَ بذلكَ حَجَرَ الأساسِ لِما نَدْعوهُ الآن .. التوقيع . فكيفَ فَعَلَ ذلك ؟

أجمل الأختام

كتابة : هيام الديراني
رسوم : علي المندلاوي
تصميم : مكي مسعود





كانَ جدُنا السومريُّ ميّالاً إلىٰ رسم الحجَرِ ونحتِه.وفي أحد الأيام ، وبعد أن نَقَشَ علىٰ قِطعةِ حجَرٍ صغيرةٍ شكلَ حيوان ضغطها علىٰ طينة طرية التقطها من الأرض . وكم كانت دهشتُهُ قويةً عندما شاهَدَ الشكلَ الذي نَحَتَهُ قد انطبعَ علىٰ الطين .. ولكنْ بشكلٍ مقلوب .

فكَّرَ جدُنا طويلاً .. وظل يُقلِّبُ قطعةَ الحجَرِ المنحوتةِ ويضغطها علىٰ الطينة كي يَحْصُلَ علىٰ الشكلِ الصحيح الذي نَحَتَهُ .. ولكنه فَشِلَ . وبعدَ مجهودٍ طويل ... عَرَفَ .

إنهُ لو نَحَتَ صفحةَ هذه القطعةِ الحجرية بشكلٍ معكوسٍ فربّما يحصل علىٰ الشكل الصحيح ... ونجحت التجربةُ ، وأُطْلِقَ علىٰ هذه القطعةِ الحجرية المنحوتة اسم : الخَتْمْ .



صارَ جدُنا يختم أو يُوقّعُ بالختم علىٰ كلِّ ما يعودُ إليه من أملاك ... الجِرَارَ والأواني والرسائل والمعاملات الرسمية . ولم يكتَفِ أجدادُنا بهذه القطعةِ الحجريةِ البسيطة فصاروا ينحتوها من الخارج أيضاً ... بأشكال الحيوانات التي تعيشُ معهم أو يرونها أمامهم .. وصار بعضُهم ينحتُ باطنَ الحِجارة أيضاً .. ومن ثَمَّ يثقبها عَرْضِياً ليُعَلّقَهَا في عُنُقِهِ كالقِلادة .. وأطلقوا علىٰ هذا النوع من الأختام اسمَ الختم المنبسط .

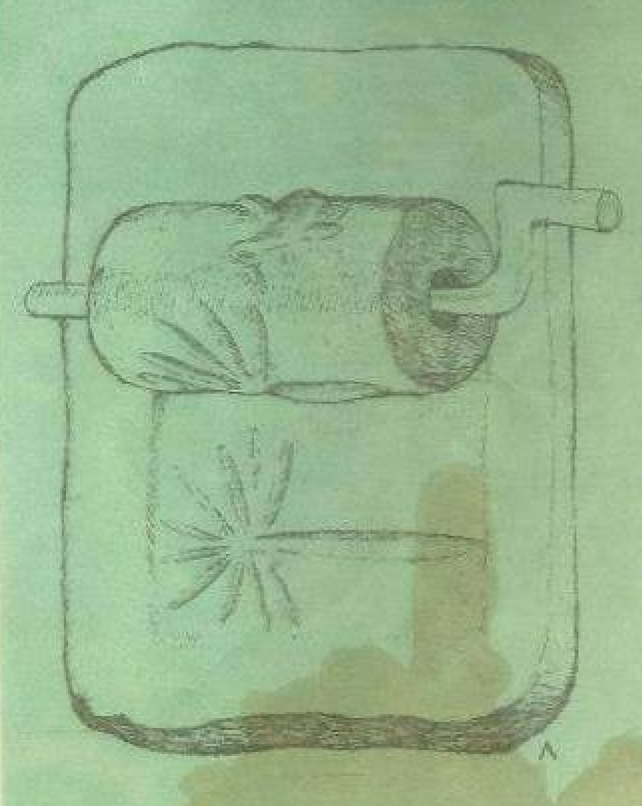


وفي أحدِ الأيام عَثَرَ أجدادُنا على حَجرٍ كالإصْبَعِ ففكروا بِنَحْتِهِ .. ولكنَّ سطحَ حافَّتيه صغيرٌ ! إذن لِمَ لا ينحتونَ سطحَهُ الدائريَّ الكبيرَ ؟ ..

تناولوا أدواتِهم وحفروا على السطحِ أشكالاً تدور مع دورة الحجر .

ضغطوها على طينةٍ طَرِيَّةٍ من إحدى جهاتها .. فوجدوها ناقصة .. فدحرجوها ... فوجدوا أنَّها تتركُ طبعةً جميلةً جداً .

ففرحوا كثيراً بهذا الاختراع ، وأطلقوا على هذا الختم الجديد اسم 'الختم الاسطواني' .

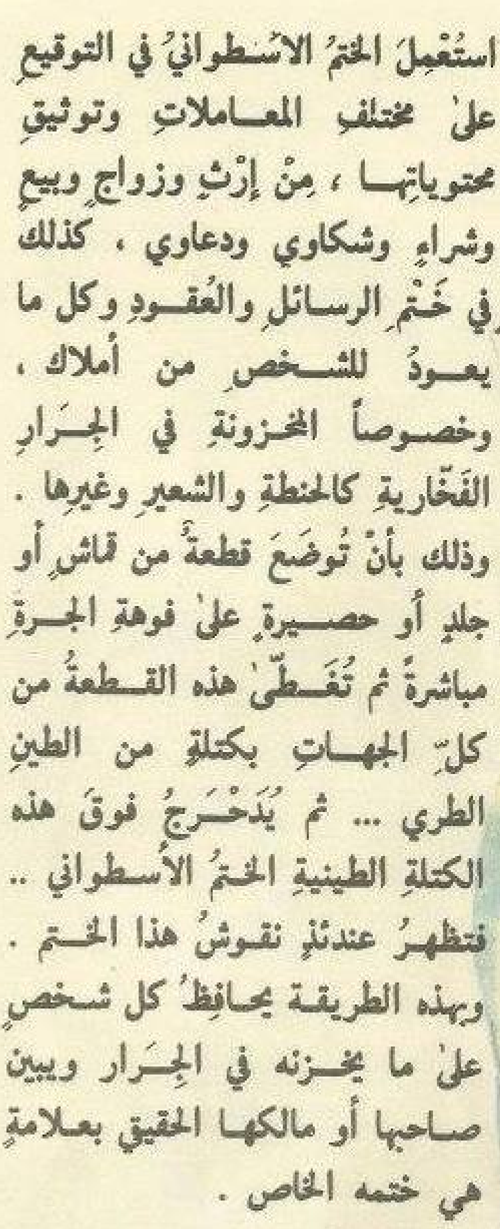


وكانت هذه الأختامُ ضروريةً لكلِّ الناس .... الموظفين والحكام والتجار ، وخصوصاً الملوك والأمراء . لذلك كان الختم الأسطواني يُثقَبُ طوْلياً من الوَسَط ، ويعلقه صاحبُهُ في قِلادةٍ أو يربطه في مِعْصَمِهِ بخيطٍ أو سِلْكٍ . وما يكادُ الواحدَ منهم يحتاجُ إلىٰ توقيع صكٍ أو خطابٍ أو حُكمٍ ، حتىٰ يخلعَ من رقبته ذلك الختمَ الجميلَ المزينَ بالرسوم ، وبِدَحْرَجَةٍ بسيطةٍ يكونُ توقيعُهُ قد تَمَّ .

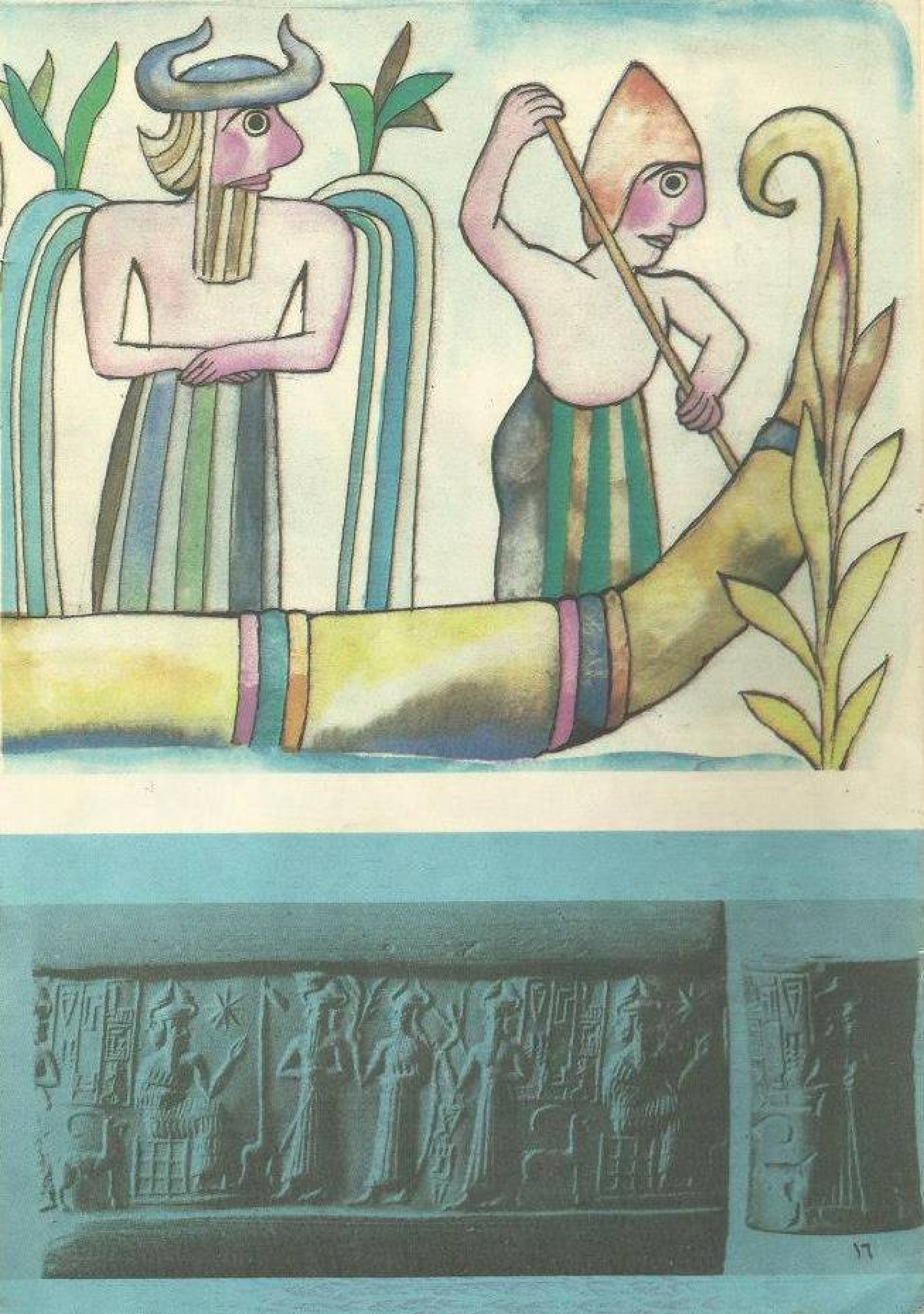


استُعْمِلَ الختمُ الاسْطوانيُ في التوقيعِ علىٰ مختلفِ المعاملاتِ وتوثيقِ محتوياتِها ، مِنْ إرْثٍ وزواجٍ وبيعٍ وشراءٍ وشكاوي ودعاوي ، كذلك في خَتْمِ الرسائلِ والعُقودِ وكل ما يعودُ للشخصِ من أملاك ، وخصوصاً المخزونةِ في الجِرارِ الفَخّاريةِ كالحنطةِ والشعيرِ وغيرِها . وذلك بأنْ تُوضَعَ قطعةٌ من قماشٍ أو جلدٍ أو حصيرةٍ علىٰ فوهةِ الجرةِ مباشرةً ثم تُغَطّىٰ هذه القطعةُ من كلِّ الجهاتِ بكتلةٍ من الطينِ الطري ... ثم يُدَحْرَجُ فوقَ هذه الكتلةِ الطينيةِ الختمُ الأسطواني .. فتظهرُ عندئذٍ نقوشُ هذا الختم . وبهذه الطريقة يحافِظُ كل شخصٍ علىٰ ما يخزنه في الجِرار ويبين صاحبها أو مالكها الحقيقي بعلامةٍ هي ختمه الخاص .

وفي حالة فقدان الختم من صاحبه ، فأنه يخبر الحكومة عنه . حيث تقوم الحكومة علىٰ الفور بالاعلانِ عن ذلك بواسطةِ نفخِ الأبواق في الشوارع . وينادي المنادي علىٰ ضرورةِ إرجاع الختم إلىٰ صاحبه ... خوفاً من استعماله من قِبلِ غَيْرِه .









اعتُبِرَت الأختامُ الاسطوانيةُ من المصادرِ المهمةِ التي عَرَّفتنا بجوانبَ من حضارةِ وادي الرافدين .. لأنها صَوَّرَت لنا الحياةَ التي كانَ يعيشُها أجدادُنا العراقيون القدماء قَبْلَ آلافِ السنوات .

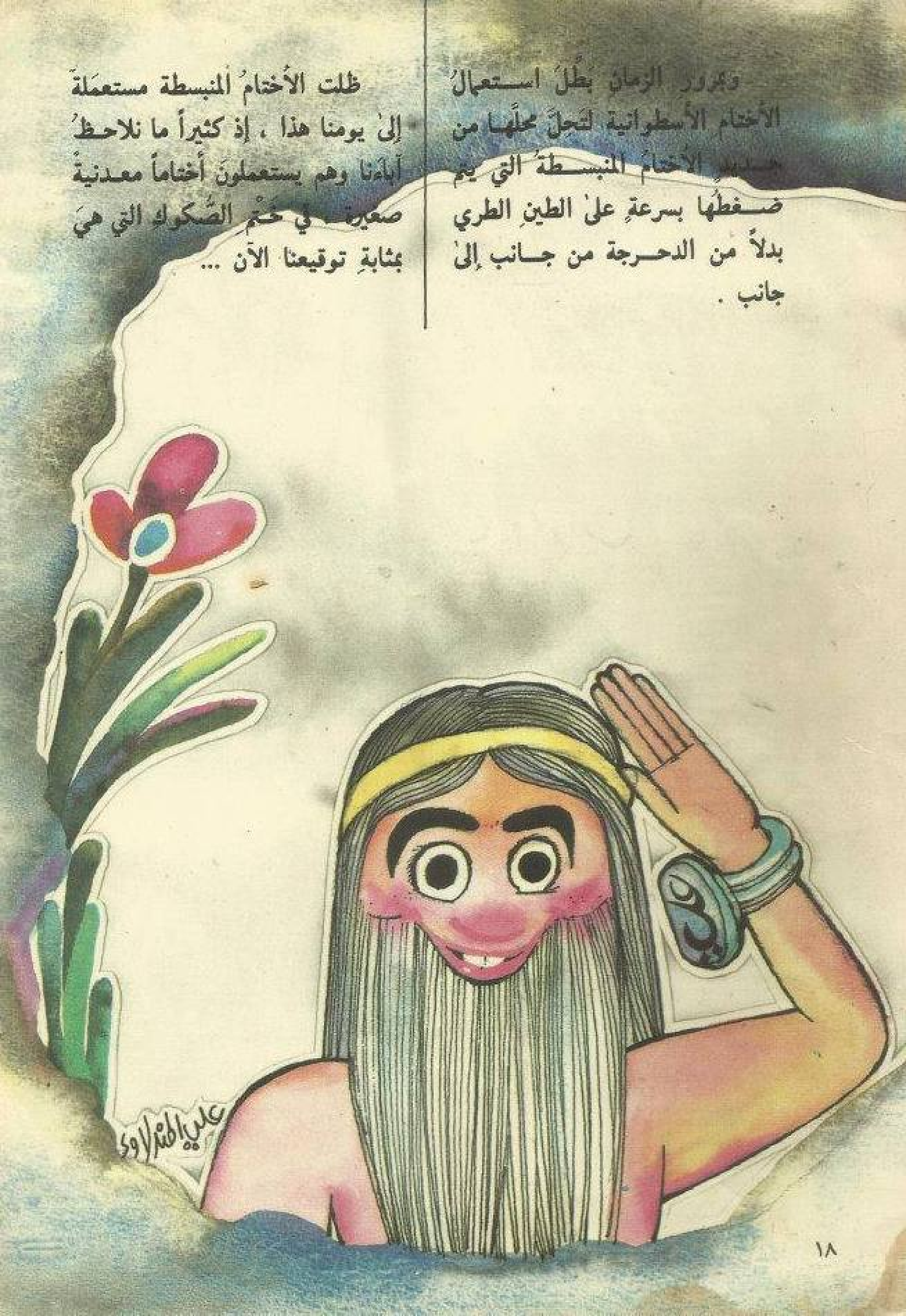
كانوا يرسمونَ وينحتونَ على الأختامِ ما يعبدونَ وما يزرعونَ وما يلبسونَ. وَصَوَّروا مظاهرَ حياتِهِم كركوبِهِم على ظهرِ قاربٍ يشبه المشحوفَ الموجود لحد الآن في منطقة الأهوار . أو تصوير ثورين يتجولان في حقلٍ من نبات الذرة او تصوير شخص يحرث الارض وفوق رأسِهِ رَمْزٌ للقمرِ والنجوم .

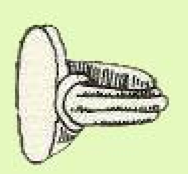
وقد وُجِدَتْ بعضُ الأختام الاسطوانيةِ وفيها مكانٌ صغيرٌ خالٍ من أيَّةِ كتابةٍ أو رسم . ويبدو أن الفنانَ تَركَ هذا الفراغَ حتى يكتبَ عليه اسمَ الشخص الذي يشتري منه الختم ، وهويتَهُ أو الكلماتِ التي يريدُ أن يكتبَها ، وبعد الشراء يملأُ الفنانُ الفراغَ المتروكَ بالكتابةِ المطلوبة .



وبمرورِ الزمانِ بَطَلَ استعمالُ الأختامِ الأسطوانيةِ لتحلَّ محلَّها من جديدٍ الأختامُ المنبسطةُ التي يتم ضغطُها بسرعةٍ على الطينِ الطري بدلاً من الدحرجة من جانب إلى جانب .

ظلت الأختامُ المنبسطة مستعملةً إلى يومنا هذا ، إذ كثيراً ما نلاحظُ آباءنا وهم يستعملونَ أختاماً معدنيةً صغيرةً في ختمِ الصُّكوكِ التي هي بمثابةِ توقيعنا الآن ...





المصـــادر

- طه باقر ... 'تاريخ الحضارات القديمة'
- احمد سوسة ... 'الري والحضـارة في العـراق القـديم' الجزء الأول .
- صبحي انور رشيد ... 'الاختام الاسطوانية' ـ الجزء الاول ـ
- ول ديورانت ... 'قصـة الحضـارة' ـ الجـزء الثاني ـ من المجلد الاول .
- برستيد ... 'العصور القديمة' .

سعر النسخة ٥٠ فلساً

طبع دار الحرية للطباعة ـ توزيع الدار الوطنية